

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث عائشة: سمعت رسول الله وهو مستند..

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا باب ما يقوله من أيس من حياته، يعني: علم أن هذا المرض هو مرض الموت، ماذا يقول؟.

ذكر حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو مستند إليّ -يعني: في مرض موته- يقول: **((اللهم اغفر لي، وارحمني))**<sup>(١)</sup>، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ليس عليه ذنوب؛ لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، ولكن على كل حال يكون بذلك رفع الدرجات، والمراتب، والمنازل عند الله -جل جلاله-، ليس عليه ذنب، لكن إذا قال الإنسان وليس عليه ذنوب، فإنه لا يأمن أن يكون قد ترك ما هو الأولى في مقام من المقامات، أو نحو ذلك.

**((اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى))**، والرفيق الأعلى من أهل العلم من يقول: المراد به الرب -تبارك وتعالى-، يعني: يريد أن ينتقل إلى جوار ربه، وبعضهم يقول: إن المراد ما جاء في قول الله -تبارك وتعالى-: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾** [النساء: ٦٩]، فهذا هو الرفيق الأعلى، من الأنبياء، والصالحين، والصدّيقين، فهذا كله الرفيق الأعلى، وبعضهم أدخل في جملته أيضًا الملائكة -عليهم السلام-، وجاء ذلك في رواية - أعني: أن الرفيق الأعلى هم النبيون، والصدّيقون، والصالحون، والشهداء-، جاء ذلك في حديث آخر.

قال: **((وألحقني بالرفيق الأعلى))**، والحديث مخرج في الصحيحين، لكن هذا متى يقوله الإنسان؟ إذا علم أن هذا المرض هو مرض الموت، أنه سيموت، وإلا فكما سبق، ويأتي -إن شاء الله- في حديث آخر: **((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به))**<sup>(٢)</sup>، فالجمع بين هذا: أن هذا حال انقطاع الرجاء، إذا علم أنه ميت، يقول: وألحقني بالرفيق الأعلى، وأما إذا كان في غير ذلك فإنه لا يتمنى الموت، **((فإن كان ولا بدّ، فيقول: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي))**.

ويجوز له أن يتمنى الموت إذا خشي الفتنة في الدين، وهذا له شواهد، وقد يأتي الحديث عنه -إن شاء الله تعالى- في موضعه.

١ - أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي -صلى الله عليه وسلم- ووفاته، رقم: (٤٤٤٠)، ومسلم: كتاب فضائل

الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب في فضل عائشة -رضي الله تعالى عنها-، رقم: (٢٤٤٤).

٢ - أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت، رقم: (٥٦٧١)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،

باب كراهة تمنى الموت لضر نزل به، رقم: (٢٦٨٠).

وذكر الحديث الآخر، وهو عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو بالموت، يعني: بالنزع، في الاحتضار، عنده قدح فيه ماء، وهو يُدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: ((اللهم أعني على غمرات الموت، وسكرات الموت))<sup>(٣)</sup> رواه الترمذي.

((غمرات الموت)) يعني: ما يحصل به غمر الإنسان، يذهب وعيه وإدراكه، غمرات الموت، كأن عقله وقلبه ينغمر، وهكذا السكرات، السكرة بمعنى: يذهب الإدراك، والوعي، والعقل، بسبب شدة سكرات الموت؛ ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يغمى عليه مرارًا، حينما كان في حال النزع -عليه الصلاة والسلام-، وقال لهم: ((صبوا عليّ من سبع قرب، من سبع آبار، من آبار المدينة))<sup>(٤)</sup>، فهذه الغمرات، وهذه السكرات أصابت النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويكون ذلك رفعة في الدرجات، ولو كان كرم العبد على ربه -تبارك وتعالى- يقيه مثل هذه الآلام حتى عند الموت؛ لكان أولى الناس بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقد كان في حال الحياة يصيبه من البلاء الضّعف، ضعف ما يصيب الآخرين، و((أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل))<sup>(٥)</sup>، وعند الموت أيضًا كان يقول مثل هذا -عليه الصلاة والسلام-، ويغمى عليه من شدة ما يجد، فمثل هذه الأمور تعرض للمؤمن، ويكون ذلك خيرًا له، فلا ينبغي أن يجزع، وأن ينكسر، أو يجزع من عنده، وإنما يصبر، ويرضى بما قدر الله -عز وجل- له، وجزعه لن يرد عنه من القضاء والقدر شيئًا، لا قليلًا ولا كثيرًا، فما قضاه الله -عز وجل- وقدره كائن، ولا بدّ، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

---

٣ - أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في التشديد عند الموت، رقم: (٩٧٨)، وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته: (ص: ١٦٦)، رقم: (١١٧٦).

٤ - أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة، رقم: (١٩٨).

٥ - أخرجه الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم: (٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم: (٤٠٢٣)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٢٧٣ / ١)، رقم: (١٤٣).